الباب الثانى
العلمانية والجاهلية

obeikandl.com

obeikandl.com

ملامح الفكر العلماني: أصبح حَملة العلمانية الوافدة في بلاد الشرق بعد مائة عام من وفودهم تياراً واسعاً تغلب في الميادين المختلفة، فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية، وكان يتقاسم هذا التيار الواسع في الجملة اتجاهان:

أ: الاتجاه اليساري الراديكالي الثوري، ويمثله أحزاب وحركات وثورات ابتليت بها المنطقة ردحاً من الزمن، فشتت شمل الأمة ومزقت صفوفها، وجرت عليها الهزائم والدمار والفقر وكل بلاء، وكانت وجهة هؤلاء الاتحاد السوفيتي، سواء كانوا شيوعيين أمميين، أو قوميين عنصريين.

ب: الاتجاه الليبرالي ذي الوجهة الغربية ومن دار في فلكها من دول الغرب، ويمثلهم أحزاب وشخصيات جنوا على الأمة بالإباحية والتفسخ والسقوط الأخلاقي والعداء لدين الأمة وتاريخها وللاتجاهين ملامح متميزة أهمها:

١ ـ مواجهة التراث الإسلامي، إما برفضه أو بإعادة قراءته قراءة عصرية لتوظيفه توظيفاً علمانياً بتأويله على خلاف ما يقتضيه سياقه التاريخي من قواعد شرعية، ولغة عربية، وأعراف اجتماعية، ولم ينج من غاراتهم تلك حتى القرآن والسنة .

٢ ـ اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي عنصري غير حضاري، وتفسيره تفسيراً مادياً.

٣- السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم.

٤ - خلخلة القيم الخلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي، والمسيرة للعلاقات الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود وطلب الأجر وأحاسيس الجسد الواحد.

٥ - رفع مصطلح الحداثة كلافتة فلسفية بديلة لشعار التوحيد، والحداثة كمصطلح فكري ذي دلالات محددة تقوم على مادية الحياة، وهدم القيم والثوابت، ونشر الانحلال والإباحية، وتلويث المقدسات، وجعل ذلك إطاراً فكرياً للأعمال الأدبية، والدراسات الاجتماعية، مما أوقع الأمة في أسوأ صور التخريب الفكري الثقافي وقراءته قراءة انتقائية غير نزيهة ولا موضوعية، لتدعيم الرؤى والأفكار السوداء المسبقة حيال هذا التاريخ.
٦- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة، واستبدالها بمقولة حوار الثقافات، مع أن الواقع يؤكد أن الغزو الفكري حقيقة تاريخية قائمة لا يمكن إنكارها كإحدى مظاهر سنة التدافع التي فطر الله عليها الحياة.

٧- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري.
٨- تمييع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق، والفكر والسياسة، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها،

واستخدام هذه المفاهيم في تحليل المواقف والأحداث.

٩- دق طبول العولمة واعتبارها قدر محتوم لا مفر منه ولا خلاص إلا به، دون التمييز بين المقبول والمرفوض بمقتضى المعايير الشرعية.

١٠- الاستهزاء والسخرية والتشكيك في وجه أي محاولة لصبغ بعض جوانب الحياة المختلفة المعاصرة بالصبغة الإسلامية في الاقتصاد والإعلام والقوانين.

١١- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية، خاصة في الفن والرياضة وشركات الطيران والأزياء والعطور والحفلات الرسمية، والاتكاء القوي على قضية المرأة.

١٢- الاهتمام الشديد والترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام، والجامعات على أنهم رواد العلم.

دستور التتار ودستور العلمانيين: يقول الشيخ ابن كثير - رحمه الله- في تفسير قول الله تعالى: {أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون}: ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة

عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن أحكام اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والإسلام وغيره، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد هواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافر، يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير)٠

إذا تأملنا ذلك، ونظرنا إلى دستور العلمانيين وجدناه عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها (جنكيز خان العلمانيين) من شرائع شتى من الرومانية والفرنسية والإسلام وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في أتباع العلمانية شرعاً متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأصدروا قواعد تشريعية عامة بدلوا بها شرائع الإسلام لتكون لها السيادة في الأمة ولتصبح هي المرجع في الحكم عند التنازع وأصبح التحاكم إلى القوانين الوضعية التي تحل الربا والزنا والفواحش هو دين العلمانيين وشريعتهم.

وأصبح هؤلاء العلمانيون وأتباعهم يتحاكمون إلى قوانين الدياثة التي لا تجيز للزوج أن يرفع دعوى ضد زوجته بتهمة الزنا إلا إذا فاجأها وهي تزني على فراش الزوجية وحتى إذا ما أخذته دوافع الغيرة وحاول أن يقتل عشيق زوجته فسبقه العشيق وقتل الزوج فإن عشيق الزوجة الزانية يمكنه بالقانون أن يثبت براءته تحت ظل عدالة وديمقراطية

وسماحة القوانين الوضعية بحجة أنه كان في وضع دفاع عن النفس أما الزوجة الزانية فلا يستطيع أحد أن يخدش حياءها ويوجه لها تهمة الزنا لأنه في ظل هذه القوانين العلمانية الديوثة لا يستطيع أحد أن يرفع دعوى بتهمة الزنا ضد الزوجة إلا زوجها وقد مات الزوج إذن فهي بريئة.

• فما ظنكم بهؤلاء العلمانيين الذين يعلنون الفصل بين الدين والدولة وأن إدارة الكون شركة بينهم وبين الله، فلله حكم العقائد والعبادات ولهم ما وراء ذلك من جميع المعاملات؟.

• وما ظنكم بهؤلاء الذين لا شارع لهم إلا البرلمان، ولا سيادة عندهم إلا للأمة، ولا قدسية لديهم إلا للقوانين الوضعية؟.

• ما ظنكم بهؤلاء الذين يزعجهم كما يزعج أسيادهم في الغرب والشرق- تنامي التيار الإسلامي ويرونه خطراً داهماً على سلطانهم؟.

ألا ينطبق عليهم قول ابن كثير فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه، فمن فعل ذلك فقد كفر بإجماع المسلمين وبذلك يتضح أن تلك الشبهة - شبهة تلفظ بعض العلمانيين بالشهادة وإقامة بعض الشعائر لا وزن لها ولا اعتبار إلا عند البلهاء أو المنافقين والزنادقة.

<u>الجاهلية العربية والجاهلية العلمانية:</u> إن الدارس لعقائد الجاهلية العربية القديمة يجد أنها كانت توحده في معظم أفعاله تعالى كالخلق والرزق

والتدبير والإحياء والإماتة {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله} وكانوا يقرون بمشيئة الله النافذة في الكون وقدره الذي لا يرد ويؤمنون بالملائكة{وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة} ويؤمنون بالرسل {وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثلما أوتي رسل الله} ويقرون بأن الله يملك الرزق والسمع والبصر ويحيي ويميت وأنه يدبرالأمر.. {قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصارومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله} وكان منهم من يؤمن بالبعث والحساب وكذلك كان لدى الجاهليين العرب بعض شعائر التعبد منها تعظيم البيت الحرام وطوافهم حوله ووقوفهم بعرفات وتعظيم الأشهر الحرم وكذلك ذبحهم ونذرهم لله كما في قصة نذر عبد المطلب وإهدائهم للبيت الحرام وتخصيص شيء من الحرث والأنعام لله {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً} ومن ناحية التشريع كانت الجاهلية العربية تقيم بعض الحدود كحد السرقة، فقد ذكر الكلبي والقرطبي في تفسيره: أن قريشاً كانت تقطع يد السارق وهو حد معروف في الشرائع السابقة كما في حديث المخزومية وشفاعة زيد لها وشيء آخر سبقت به الجاهلية العربية القديمة الجاهليات العلمانية المعاصرة وهو حرية التدين فكان منهم الحنفاء الذين يتعبدون ببقايا دين إبراهيم عليه السلام وكان منهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وعبدة الكواكب وعبادة الأوثان

وبعضهم كان يعبد الجن أو الملائكة.

العلمانية والجاهلية وجهان لعملة واحدة: بما أن الحضارة أو الثقافة العلمانية حضارة تحل الهوى محل الإله الحق، فإن لها في كل أشكالها القديمة أو الحديثة، اليونانية والأوروبية أو العربية سمات مشتركة، نابعة من الأصل الكفري المشترك، لأن قيم الناس وثقافاتهم هي ثمرة معتقداتهم، فإذا تشابهت المعتقدات تشابهت لتشابه القيم، تشابهت الأقوال والأعمال والتحليلات والتفسيرات فالثقافات الجاهلية كلها ثقافات تطلق العنان للشهوات الجنسية فتبيح الزنا بكل أشكاله:عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺأخبرته أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل ابنته فيصدقها ثم ينكحها وأنكحة أخرى ليس بينها وبين الإباحية الجنسية فرق فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم.

هذه الإباحية الجنسية العربية أقل شراً من إباحيات أمم أخرى، لأنها تحرص على أن يكون للمولود نسب ينتمي إليه وإن كان نسباً غير حقيقي وكما تبيح الحضارة الجاهلية الزنا فإنها تبيح كل مقدماته ومسبباته، فالنساء في المجتمع العربي الجاهلي، كأخواتهن في المجتمع الجاهلي الغربي، كن لا يتحرجن من إظهار محاسنهن الأنثوية لكل الرجال، فكن يكشفن شعورهن ونحورهن بل صدورهن، ولم يكن يدنين عليهن جلابيبهن، بل كن أحياناً لا يتحرجن حتى من التعري الكامل، وكن

يختلطن بالرجال ويخلون بغير المحارم، وكن يتعطرن ويخرجن ويخضعن بالقول في خطابهن والحضارات الجاهلية حضارات لا تعرف التوسط لاسيما في معاملة النساء فهي تذهب من طرف معاملتها معاملة الحيوان والعبيد قال عمر رضي الله عنه كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً إلى طرف مساواتها بالرجال في كل شئ بل تقديمها عليهم (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) وقد تغلو الحضارة الجاهلية في اتباع الشهوات الجنسية فتبيح الشذوذ، كما فعل قوم لوط وكما فعلت الحضارة اليونانية، وكما تفعل اليوم الحضارة الأوروبية والحضارات الجاهلية كلها تبيح شرب الخمر، ولعب الميسر، وأكل الربا وهي حضارات لا ينفك أهلها عن الفخر بالأنساب أو الألوان أو القوى المادية أو غير ذلك مما لا تعلق له بالقيم الفاضلة، ويتخذون مثل هذه الميزات ذريعة للاعتداء على الضعفاء هكذا كان العرب في جاهليتهم يفعلون، وهكذا فعلت الحضارة الغربية مع الأمم الضعيفة فاستعمرت بعضاً، واحتلت بعضاً، واسترقت بعضاً ثم عاملتهم أسوأ مما تعامل به الحيوان لكن الحضارات الجاهلية قد تفلح رغم كل هذه المثالب في بناء مدنيات باهرة، وتتفوق في العلوم الدنيوية وما يبني عليها من تقنية فتأتي بمنجزات كبيرة في مجال الزراعة والصناعة وسائر أنواع التفوق المدني العمراني ولكن لما كان هذا الجانب المدني المادي قائماً على جرف ثقافي هار فإنه لايلبث أن يتداعى.

تطلق النسبية في لغتنا العربية المعاصرة على نوعين مختلفين من النظريات تسمى إحداهما في اللغة الإنجليزية relativity وهي نظرية آينشتاين المشهورة في الفيزياء، كما تطلق على نظرية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية تسمى في الإنجليزية relativism وحديثنا هنا عن الثانية لا الأولى.

النظرية هذه نظرية قديمة حديثة أول من تنسب إليه في تاريخ الفكر الغربي بروتوجراس اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد ويقول بها مفكرون غربيون معاصرون لاسيما المختصين منهم بعلم الاجتماع والأنثربولوجيا وفحوى هذه النظرية هو أنه ليس هنالك معيار ثابت يميز به بين الحق والباطل وبين الخير والشر، بل إن هذه الأحكام أحكام نسبية ولكن نسبة إلى ماذا؟ هنا يختلف القائلون بهذه النسبية ؛ فالغلاة منهم ينسبونها إلى الأفراد، أي إن ما يراه زيد حقاً أو خيراً فهو حق أو خير بالنسبة له وإن خالفه في ذلك عمرو وغيره من الناس ويرى بعضهم أنها تنسب إلى ثقافة كل مجتمع والثقافة عندهم هي منهاج حياة مجتمع من المجتمعات في فترة معينة من تاريخه، وهي تشمل معتقداته، وسلوكه، ولغته، وتشمل كذلك عاداته وتقاليده وفنونه ومخترعاته وتقنيته وتراثه ؛ فما يراه أصحاب كل ثقافة حقاً أو خيراً فهو حق أو خير بالنسبة لثقافتهم هذه ؛ لأنه ليس هناك معيار عالمي للحق والخير متفق عليه بين الناس يقول أحدهم كل ما كان من أعراف وعادات زمان ومكان

معين فله ما يسوِّغه في ذلك الزمان والمكان وتقول عالمة اجتماع أخرى إن معظم المجتمعات البشرية تسلك طرقاً مختلفة طلباً لغايات مختلفة ؛ فلا يمكن الحكم على وسيلة منها أو غاية بمقاييس مجتمع آخر ؛ لأنها غير قابلة للموازنة فليس هنالك إذن معيار عالمي تقاس به الثقافات، فيُصَوَّب بعضٌ أو يُخَطَّأ بعضٌ، أو يفضل بعض على بعض وعليه يقولون فلا يحق لأصحاب ثقافة ما أن يحكموا على الثقافات الأخرى بمعايير ثقافتهم ؛ بل إن النظرة العلمية المحايدة تقتضي أن تقوَّم كل ثقافة تقويماً داخلياً بمعاييرها هي لا بمعايير أجنبية عنها فإذا كان الإسكيمو مثلاً يرون أنه من الكرم أن يُعِير الزوج زوجته لغيره، وإذا كانت بعض المجتمعات تقتل الأولاد في المهد، أو تقتل كبار السن لأنهم لا ينتجون، فبأي معيار ننكر عليهم أعمالهم هذه؟ ويلاحظ على هذه النظرية ما يلى :

أولاً: كونها من النوع الذي يقال عنه إنه ينقض نفسه ؛ لأنه إذا كان كل حكم بالصحة أو البطلان وبالخيرية والشر إنما هو حكم ذاتي أو ثقافي ؛ فإن القول بهذه النظرية هو نفسه حكم ذاتي، أو من إملاء ثقافة معينة، فبأي حق يقال إنه حقيقة عالمية يجب على الناس مراعاتها كما هو ظاهر قول دعاتها؟ .

ثانياً أن هنالك قيماً خلقية وأنماط سلوك مشتركة بين الناس جميعاً رغم اختلاف ثقافاتهم وأزمانهم وأماكنهم، كما اكتشف ذلك بعض علماء الأنثربولوجيا أنفسهم ويمثلون لهذه القيم باعتبار الكذب والقتل وغشيان

المحارم وعدم العدل في المعاملة من الرذائل في كل المجتمعات.

ثالثاً: أن عدم اتفاق الناس جميعاً على معايير للأخلاق وللصدق لا يعني أنه ليست هنالك معايير ؛ فوجود المعيار شيء والاتفاق عليه شيء آخر.

رابعاً: أنه ما من أصحاب ثقافة إلا وهم يحاولون تسويغ قيمهم وسلوكهم بمسوِّغات مستندة إلى معايير لا أحد منهم يقول هذا ما نراه وهو حق أو خير لأننا نراه حقاً أو خيراً، بل يحاولون تسويغه استناداً إلى معايير قد يمكن مناقشتهم فيها وبيان خطئهم فيها استناداً إلى معايير عقلانية يشتركون فيها مع سائر الآدميين خذ وأد البنات عند عرب الجاهلية مثلاً لقد كانوا يفعلون هذا بحجة خشية الإملاق كما ذكر القرآن الكريم ؛ وهم كانوا مع ذلك يؤمنون بالخالق سبحانه، لذلك أمكن أن يُناقشوا وأن يتغير موقفهم بعد أن أسلموا وحسنت بالله معرفتهم.

خامساً: أن الواقع المحسوس الذي يؤمن بشهادته كل البشر يدل على كون الشيء حقاً أو باطلاً ليس بالأمر الذي تقرره الأهواء الفردية أو الثقافية لا يقول آدمي عاقل مهما كانت ثقافته: إن طلوع الشمس مثلاً أمر نسبي ؛ فهي طالعة بالنسبة لبعض غائبة بالنسبة لآخرين في نفس الوقت ونفس المكان.

سادساً: حتى لو قلنا بالنسبية فلماذا تكون النسبة إلى أهواء الأفراد وإلى الثقافات؟ لماذا لا تكون إلى أمور يشترك فيها البشر كشهادة الحس، الأدلة العقلية، أو حتى بعض المسوغات الباطلة التي يمكن مناقشة الناس

فيها كما ذكرنا في المسألة الرابعة؟

سابعاً: إن البشر كائنات اجتماعية، وهم لا يستطيعون أن يكونوا مجتمعاً متعاوناً مترابطاً إلا بقيم معينة مثل تلك التي ذكرناها آنفاً والتي صار بعض علماء الاقتصاد والاجتماع يسميها لذلك بالرأسمال الاجتماعي فالمجتمع كلما كان رأسماله منها كبيراً كان أكثر تماسكاً واستطاع أن يحقق من أهدافه الاقتصادية والسياسية ما لا يحققه مجتمع تفكك بسبب قلة نصيبه من رأس المال هذا لكن النسبية برغم بطلانها تنتشر الآن في الغرب، وفي أوساط الشباب خاصة انتشاراً مرَضياً كما تذكر المراجع، وكما سمعنا من شبابنا الذين يدرسون معهم في جامعاتهم لقد صاروا يعتقدون أن مسائل الأخلاق والأديان كالمسائل الذوقية التي يختلف فيها الناس اختلافاً يرجع إلى أمزجتهم ؛ لأنه ليس هناك معيار موضوعي لها وربما كان هذا الإيمان بالنسبية رد فعل للتعصب المقيت الذي كان وما يزال سائداً في بعض الأوساط الغربية التي تجعل ثقافتها المعيار الوحيد الذي تقاس به أديان الآخرين وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم ؛ فما اقترب منها إليهم كان أقرب إلى الحق والخير، وما بَعُدَ عنها كان عنهما أبعد والحقيقة أن العالم الإسلامي، بل كل العالم قد عانى من أمثال هؤلاء، لاسيما السياسيين منهم، ما لم يعانِ من القائلين بالنسبية ؛ لأن القول بالنسبية وإن كان باطلاً ينتج عنه عادة نوع من التسامح مع المخالف لكن النسبية تبقى داءً من أدواء الحضارة الغربية وقد انتقل هذا الداء،

كما انتقل غيره من الأدواء، إلى كثير من مثقفينا في العالم الإسلامي، بل إن بعض هؤلاء الإسلاميين صاروا يبحثون للنسبية عن أصول في إرثنا الإسلامي ؛ فهم تارة يذكرون قول القائلين من الأصوليين بأن كل مجتهد مصيب، وتارة يستدلون كاستدلال أولئك بقصة الصلاة في بني قريظة، تارة أخرى يذكرون قاعدة تغيُّر الأحكام بتغيُّر الزمان والمكان، ويرون أكبر دليل عليها كون الإمام الشافعي صار له مذهب جديد بعد انتقاله إلى مصر والحقيقة أنه ليس في شيء من هذا ما يعضد فكرة النسبية في شكلها الغربي أولاً: لأن المسلم، بل كل مؤمن بوجود الخالق، يعتقد أن وجود خالقه ليس أمراً نسبياً تابعاً لعقول المؤمنين، بل يعتقد أنه موجود وجوداً مستقلاً حتى عن معرفة الناس به، بل حتى عن وجودهم أعني أن الخالق موجود حتى لو لم يكن في الوجود إنسان ؛ لأن وجوده سبحانه سابق لوجود كل المؤمنين به فوجوده إذن حق مطلق غير مقيد بشيء، فلا يمكن أن يكون نسبياً والمسلم يعتقد إلى جانب ذلك أن هذا الخالق مستحق وحده للعبادة حتى لو لم يعبده من البشر عابد فقضية استحقاقه للعبادة هي أيضاً حقيقة مطلقة غير مقيدة بعبادة العابدين وكذلك الأمر بالنسبة للفضائل الخلقية من صدق وعدل وأمانة ووفاء، يعتقد المسلم أن هذه فضائل سواء آمن الناس بها أو لم يؤمنوا، وسواء التزموا بها أو لم يلتزموا ؛ فقيمتها إذن قيمة مطلقة غير منسوبة لا إلى الأفراد ولا إلى الثقافات.

ثانياً: القائلون بأن كل مجتهد مصيب لا يقولون إن معيار الصواب هو قول المجتهد ؛ لأنهم يعلمون أن القاعدة الإسلامية هي أن الحق لا يُعرَف بالرجال ؛ فهم ينسبون الإصابة إلى الاجتهاد الذي هو أمر موضوعي مستند إلى أدلة لكننا لا نستطيع رغم ذلك أن نقول إن كل مجتهد مصيب ؛ فماذا لو كانت اجتهاداتهم متناقضة؟ بأن يقول هذا إن الأمر مشروع، وذاك يقول: إنه غير مشروع؟ أو يقول هذا إنه واجب أو مندوب، ويقول الآخر: إنه حرام أو مكروه إن تصويب كل منهم جمعٌ بين النقيضين، وهو أمر لا يقول به عاقل أما إذا لم تكن الاجتهادات متناقضة فقد تكون كلها صواباً وقد لا تكون.

ثالثاً: أما قصة الصلاة في بني قريظة فأظن أن كثيراً من الذين يستدلون بها على نسبية الصواب لم يفهموا قول النبي ﷺعلى وجهه نعم إن النبي ﷺلم يخطِّئ الذين صلوا قبل الوصول إلى بني قريظة، كما أنه لم يخطئ الذين لم يصلُّوا إلا بعد الوصول إليها؛ فكأنه ﷺ قال إن الصلاة قبل الوصول إليها مقبولة والصلاة بعد الوصول إليها مقبولة ؛ وهذا أمر لا تناقض فيه، كما أنه لا تناقض بين القول بأن الصلاة في أول الوقت مقبولة وفي آخره مقبولة لكن يبقى أمر آخر هو أن الرسول ﷺوإن صوَّب ما فعله كل من الفريقين إلا أنه لم يصوِّب ظن كل منهما أن ما فعله الآخر خطأ؛ فكأنه ﷺ قال لكل منهما إنك أصبت فيما فعلت، وأخطأت في تخطئتك لفعل الفريق الآخر نقول بعبارة أخرى إن النبي ﷺ لم يصوِّب المذهب

الكامل لأي من الفريقين، وإنما أقر ما في كل منهما من الصواب رابعاً: أما مذهب الشافعي الجديد فيكفي في بيان عدم علاقته بالنسبية، كون الشافعي غيَّر رأيه في مسائل لا علاقة لها بالمكان الذي انتقل إليه، فلا يمكن أن يكون المكان سبباً فيها من ذلك أن من تحرى القبلة فصلى ثم تبين له أنه صلى إلى غير القبلة: هل تجب عليه الإعادة؟ قال في القديم لا تجب وقال في الجديد بل تجب فما علاقة هذا بكونه في مصر أو في الحجاز؟ وإذا كان الشافعي قد غيَّر رأيه في بعض المسائل فكذلك فعل غيره من الأئمة من أمثال الإمام أحمد من غير أن يرحلوا عن المكان الذي هم فيه بقي أن نقول إن هناك أموراً هي بطبيعتها نسبية، والناس متفقون على نسبيتها.

العصرانية والعلمانية وجهان لعملة واحدة ! من تأمل جيدًا أهداف وأفكار العصرانيين وجدها نفسها أهداف وأفكار العلمانيين،والفارق شكلي وهو أن العصرانيين قدموا أفكارهم بعد أن غلفوها وألبسوها اللباس الشرعي، وأما العلمانيون فلم يفعلوا هذا فالطائفتان تلتقيان في نهاية الأمر حول أهداف واحدة كالتقارب بين الأديان، والدعوة للديمقراطية الغربية، والتهوين من شأن الحكم بما أنزل الله، والتحايل على إسقاط أحكام الشريعة؛ خاصة الحدود، والدعوة إلى تحرير المرأة.. الخ لهذا فإن عقلاء الباحثين ممن ينظرون إلى مآل الأفكار لا حاضرها؛ سواء كانوا من الإسلاميين أم من غيرهم لم يخفَهم هذا الالتقاء بين الطائفتين، ورأوا

أن الطائفة العصرانية إنما هي بوابة وقنطرة للعلمانية،وأنه لامكان في جميع الأفكار التي طرحوها للون الرمادي الذي يزعمون أنهم يتبنونه،وأنه وسط بين الأبيض والأسود، فهذا اللون لا يوجد إلا في الأذهان، أما في الواقع فلا مجال إلا بالتزام أحكام الإسلام وهو اللون الأبيض،أو اللحاق بركب العلمانيين، وهو اللون الأسود ومن ادعى أنه سيسير بينهما فهو واهم، وعن قريب هو صائر إلى أحدهما كما حدث لتلاميذ المدرسة العصرانية؛ حيث انضم أكثرهم إلى العلمانية الخالصة،وتراجع قلة منهم عندما عرفوا مصير السير وراء الأفكار التوفيقية الرمادية؛ كرشيد رضا.

١- يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري واصفاً وضع المدرسة العصرانية :إن إدخال الأفكار الوافدة ضمن مركب التوفيق لا يضمن أنها ستبقى دون تأثير خطير، وأنها ستظل منضبطة بحدود الاعتقاد الدينية فهي نظراً لكونها جزيئات من حضارة أخرى ذات محتوى اعتقادي مغاير، فإنها تحتفظ في باطنها بطبيعتها الأصلية الخاصة المعدية، والمباينة للطبيعة الإسلامية، وتتحرك حسب منطقها الذاتي وقوانينها الحركية الوافدة معها من كيانها الحضاري الأول، إلى أن تخلق دينامية مستقلة تؤثر على مركب الفكر التوفيقي كله وتوجهه وجهة جديدة لم تكن في حسبان التوفيقيين في البداية،أو تخل بالمعادلة كلها لتشق طريقها في تيار متميز خارج مجرى التوفيق هذا إذا لم ينشطر التوفيق

إلى نقيضين نتيجة لذلك وهذا ما يفسر خروج أشهر العلمانيين في الفكر العربي مثل لطفي السيد وطه حسين من تحت عباءة التوفيق للشيخ محمد عبده .

٢- ويقول ألبرت حوراني عن محمد عبده: كان يريد أن يقيم سداً في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليها إلى العالم الإسلامي؛ لتحتل المواقع واحداً تلو الآخر، ثم جاء فريق من تلاميذ محمد عبده وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى العلمانية.

٣- ويقول الدكتور محمد كامل ضاهر أعطى الشيخ محمد عبده تشجيعاً كبيراً للعلمانيين ومنطلقاتهم الفكرية، بل إنهم اعتمدوا على كثير من آرائه لدعم اتجاهاتهم وحركتهم في مجتمع مشبع بالقيم والتقاليد الدينية الراسخة فماذا يطلب العلمانيون أكثر من رأيه في السلطتين الزمنية والدينية؟ ونظرته إلى العقل، ودوره في تنظيم شؤون الحياة والمجتمع؟ ورأيه في المرأة وفي كثير من المسائل المالية والاجتماعية التي اجتهد فيها لمصلحة الأمة والوطن والفقراء من الناس،وليس للمصالح الفردية؟ وإذا صح أن معظم ما كتبه قاسم أمين عن المرأة هو من بنات أفكار عبده فذلك يعني أن الرجل أصبح في أواخر عمره مشبعاً بالأفكار العلمانية الغربية ومتحمساً لها، حتى أنه كان في طليعة الدعاة لإنشاء الجامعة الأهلية المصرية وافتتحت عام ١٩٠٨وتركزت استراتيجيته الحقيقية

على إحياء حقائق الإسلام على ضوء الفكر الحديث، وعلى جعل الأخلاق قاعدة الحياة الاجتماعية والفكرية الجديدة في مصر، دون أن يحاول استئصال الماضي أو إحيائه كلياً، بل اعتمد هذا الماضي كأساس لبناء مجتمع متطور توفره ثقافة الغرب العقلية وعلومه الحديثة.

وإذا كان عبده قد حاول أن يكون سدًا منيعاً أمام العلمانية المادية التي حملها مهاجروا الشام المسيحيون إلى مصر، فإن ما طرحه من أفكار تنويرية جعل معظم العلمانيين المسلمين يتخذون من أفكاره سلاحاً يدافعون به عن معتقداتهم الهادفة إلى علمنة كاملة للمجتمع الإسلامي العربي، وفي طليعتهم قاسم أمين وأحمد لطفي السيد ومحمد حسين هيكل وزملاؤه في حزب الأمة .

٤- ويقول النصراني جب عن محمد عبده: إن ما أثر على نفوس قرائه العلمانيين: تلك الروح التي عالج بها مسائل العقيدة والتطبيق؛لاسيما القوة التي حارب بها التعليم التقليدي .

٥- ويقول الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى في كتابه (تاريخ مصر السياسي) عن محمد عبده وتلاميذه أنهم: كانوا أكثر تأثيراً من كل العلمانيين .

٦- ويقول الأستاذ نعيم عطيه:لا شك في أن محمد عبده لعب دوراً رئيسياً في محاولة التوفيق بين المبدأ الديني والعلم،وبذلك أعطى العقل سندًا قوياً منتصراً على التقليد وفتح في الخط الديني الملتزم ثغرة كبرى أتيح

بفضلها للتيار العلمي أن يدخل حلبة الصراع الفكري ويثبت أقدامه قوة قائمة بذاتها وكان طبيعياً بالتالي أن يتحول التيار العلمي على صعيد العمل السياسي البحت إلى دعوة للعلمانية وفصل الدين عن الدولة.

٧-ويقول الشيخ سفر الحوالي لم يكن محمد عبده علمانياً، ولكن أفكاره تمثل بلا شك حلقة وصل بين العلمانية الأوربية والعالم الإسلامي، ومن ثم فقد باركها المخطط اليهودي الصليبي، واتخذها جسرًا عبر عليه إلى علمانية التعليم والتوجيه في العالم الإسلامي، وتنحية الدين عن الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى إبطال العمل بالشريعة والتحاكم إلى القوانين الجاهلية المستوردة، واستيراد النظريات الاجتماعية الغربية وهو قائم جميعه تحت ستار الإصلاح أيضاً أما الجماهير الإسلامية فقد اتخذت أفكار الشيخ الإصلاحية مبررًا نفسيًا لتقبلها للتغيير العلماني ٠

٨-ويقول الشيخ ناصر العقل عن محمد عبده وتلاميذه:لهم آراء ومناهج ليست علمانية صريحة لكنها في سبيل العلمنة٠

٩-ويقول الدكتور سعيد الزهراني لقد تركت أفكار محمد عبده أثرها على تلاميذه،ومن جاء بعده،بل لقد عظمت حتى وصلت إلى الصراحة بموافقة الفكر الغربي العلماني ٠

١٠-ويقول الشيخ محمد بن إسماعيل :لقد كان محمد عبده يريد أن يقيم سدًا في وجه التيار العلماني اللاديني ليحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه،ولكن الذي حدث هو أن هذا السد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت

عليه إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع واحدًا تلو الآخر، ثم جاء فريق من تلاميذ محمد عبده وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى طريق العلمانية اللادينية:

١١-ويقول الأستاذ محمد حامد الناصر بعد دراسته لأفكار العصرانيين: حقيقة العصرانية دعوة إلى العلمانية ثم ذكر أقوالاً لبعض العصرانيين الأحياء يصرحون فيها بتبني العلمانية.

١٢-ويقول الدكتور عبد الرحمن الزنيدي:لقد كان من آثار خبوت وهج العلمانية في البيئات الإسلامية أن تقمص بعض أتباعها رداء الإسلام؛ ليتحركوا تحت رايته بعلمانيتهم بأسماء مختلفة؛ كالإسلام التقدمي، وفكر الإستنارة الإسلامي، أو اليسار الإسلامي ولقد عرف العلمانيون حقيقة أفكار العصرانيين،وأنها نفس أفكارهم، لكنها تجد قبول من سُذج المسلمين نظراً لواجهتها الإسلامية، وكونها تستتر خلف الشيخ فلان، والداعية علان، بخلاف أفكارهم العلمانية الصرفة، ولهذا فقد تترسوا بهم، ووجدوا فيهم خير مطية يمتطونها لاختراق المجتمعات الإسلامية التي لم تجد العلمانية فيها موطئ قدم، وجعلوهم طليعة لهم في غزو تلك المجتمعات وخلخلتها بطرح الأفكار المتنوعة المناسبة لهم، التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب، وكسر هيبة كبار العلماء، وشق وحدة الصف فيها؛ ليسهل عليهم بعد ذلك التمكن منها.

لهذا كله فلا تعجب إن سمعت أو قرأت أن فلاناً العصراني يُكال له المديح من جماعة العلمانيين،ويُصدر مجالسهم وندواتهم،وتُفتح له وسائلهم،ويكتب في صحفهم؛لأن الجميع قد التقوا على أهداف واحدة؛ فانطبق عليهم قوله تعالى (ربنا استمتع بعضنا ببعض... الآية) ودعم العلمانيين للعصرانيين يكون بالآتي:

١-إفساح المجال لهم ليبثوا أفكارهم عبر الوسائل الإعلامية التي يسيطرون عليها في مقابل تهميشهم لأهل الإسلام من دعاة الكتاب والسنة، الثابتين على الحق، غير المتلونين أو المتذبذبين.

٢-المبالغة في مدحهم ووصفهم بصفات الاعتدال والوسطية وسعة الصدر للآخرين مع لمز أهل الإسلام ودعاة الكتاب والسنة بضيق الأفق، والتحجر، وعدم قبول الغير..الخ

فعلى سبيل المثال هذا العلماني الشهير الدكتور جابر عصفور في كتابه هوامش على دفتر التنوير يهاجم علماء ودعاة الكتاب والسنة أمثال الشيخ ابن باز والدكتور عوض القرني وغيرهم ثم في المقابل يكيل المديح لمحمد عبده وتلاميذه ويختم مديحه قائلاً إن كرامة هذه الأمة في التاريخ أخذت في الضياع حين ضاعت الحرية العقلية والحرية السياسية والحرية الاجتماعية، وحين لم نبدأ من حيث انتهى أمثال طه حسين وأحمد زكي أبو شادي،وحين قمعنا العقل بالتقليد، والشك بالتصديق، وحين استبدلنا بأمثال الشيخ محمد عبده ومحمد فريد وجدي قوماً آخرين

ويقول في مقدمته لكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق وبقي الكتاب نفسه وثيقة رائعة من وثائق التنوير،وثيقة تعلمنا أننا ننتمي إلى تراث عظيم، وأن لنا من المشايخ ما نفخر به كرفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وعلي عبد الرازق وأمثالهم، هؤلاء هم الذين ننتهي إليهم، وهؤلاء هم الذين أسهموا في صنع وعينا الحديث وإيماننا الراسخ بالدولة المدنية والمجتمع المدني، وهؤلاء هم الذين علمونا أن لا تناقض ولا تعارض بين الدين والدولة المدنية التي تسعى إلى التقدم، أو بين رجل الدين والمجتمع المدني الذي يتسلح بالعلم، ويبني مستقبله بهذا العلم، وإذا أضفنا إلى هؤلاء المشايخ العظام أقرانهم من الأفندية دعاة التنوير، أدركنا أن ما تقوم عليه نهضتنا وثقافتنا أقوى وأعظم من أن يتأثر بأية هبة من هبات الإظلام ٠

٣-عدم السماح لأحد بنقدهم أو النيل منهم، بل إحاطتهم بهالة من القداسة المصطنعة يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: ومن شاء أن يعرف المكان الصحيح والقيمة الحقيقية لمحمد عبده وللأفغاني لينظر في الصحف اليومية والمجلات الدورية وفي كتب الكتاب الليبراليين الذين لا يسمحون بأن يُمس أي منهما[1]، والذين يهاجمون بفظاظة وشراسة كل من يمسهما من قريب أو بعيد، مع أن هذه الصحف والمجلات والكتب لا

---

١) عن كتاب العصرانية قنطرة العلمانية ص ٣٧-٤٥ إعداد -سليمان بن صالح الخراشي

يُعرفُ عنهم غيرة على الإسلام في غير هذا الموضع، بل لا يثورون حين يُمس رسول الإسلام ﷺ وأصحابه، ويرون أن ذلك مما تسعه حرية الفكر واختلاف الرأي، بل إنهم يلتزمون التزاماً دقيقاً أن لا يُذكر اسم محمد عبده إلا مقروناً بلقب الإمام، ويذكرون اسم الرسول ﷺمجرداً، ويستكثرون إذا ذُكر الرجل من أصحابه أن يقولوا سيدنا فلان أو يُتبعوه، كما تعود المسلمين أن يقولوا في الدعاء له: رضي الله عنه.

٤-التحسر عليهم وتكريمهم حتى بعد موتهم.

جهود الكفار في نشأة العصرانية وصناعتها: لقد أذن الإنجليز بعودة محمد عبده من منفاه إلى مصر بعد أن تأكدوا من هجره لأفكاره الثورية السابقة، وتبنيه الفكر العصري المتعاون مع الإنجليز والمهادن لهم يقول الأستاذ غازي التوبة: كان الاحتلال الإنجليزي عاملاً أساسياً من عوامل عودة محمد عبده إلى مصر، وقد صرح اللورد كرومر بذلك في كتابه مصر الحديثة فقال: إن العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني وكان الإنجليز رغم احتلالهم لمصر يعلمون أن المجتمع المصري لن يقبلهم وأفكارهم بسهولة، بل سيظل يجاهدهم ويعمل على الخلاص منهم؛ لأنهم في نظره نصارى كفار محتلون لبلاده فقد كانت الصفوف وقت احتلال الإنجليز لمصر متمايزة: الشعب المصري المسلم ومن خلفه شيوخ الأزهر من جهة، والمحتل الكافر من جهة أخرى وهذا التمايز كان يضيق به الإنجليز، ويعلمون أنه يحول بينهم وبين تنفيذ

خططهم في تغريب البلاد وعلمنتها وجعلها تتقبل فكرة أن تكون مجرد ولاية تابعة للإمبراطورية البريطانية ويعلمون أن الشعب المصري المسلم لم يكن ليتقبل الأفكار العلمانية الصريحة التي ينادي بها المحتل وأعوانه من أقباط مصر أو النصارى العرب القادمين من الشام.

إذاً فالحل هو صنع طائفة جديدة ترتدي المسوح الإسلامية وتقوم بمهمة تمرير أفكار التغريب العلمانية بين أفراد المجتمع، وخير من سيقوم بهذه المهمة: الشيخ محمد عبده الذي كان محبطاً من جدوى العمل الثوري ومن معه من النبهاء أصحاب الطموح السياسي أو أصحاب الشذوذ الفكري يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله أن المحتل الإنجليزي جاء لأجل ذلك بتربية جيل من المصريين العصريين الذين يُنَشؤن تنشئة خاصة تقربهم من الأوروبيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص، في طرق السلوك والتفكير ٠

وقال الدكتور مبيناً خطورة المهمة التي قام بها محمد عبده ومدرسته وخطر التطوير على الإسلام وعلى المجتمع الإسلامي يأتي من وجهين: فهو إفساد للإسلام يُشوّش قيمه ومفاهيمه الأصيلة بإدخال الزيف على الصحيح، ويثبت الغريب الدخيل ويؤكده فبعد أن كان الناس يشاركون في تصاريف الحياة، وهم يعرفون أن هذا الذي غُلبوا على أمرهم فيه ليس من الإسلام، والأمل قائم في أن تأتى نهضة صحيحة ترد الأمور إلى نصابها قدر الإمكان، يصبح الناس وهم يعتقدون أن ما يفعلونه هو

الإسلام فإذا جاءهم من يريد أن يردهم إلى الإسلام الصحيح أنكروا عليه ما يقول، واتهموه بالجمود والتمسك بظاهر النصوص دون روحها.

-كانت عملية صناعة الطائفة العصرانية تتم من خلال الصالونات التي انتشرت بعد الاحتلال الإنجليزي، لا سيما صالون الأميرة نازلي فاضل التي كانت كما يقول الشيخ محمد بن إسماعيل المرأة الوحيدة التي تختلط بالرجال وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته آنذاك ليكون مركزاً تُبث منه الدعوة إلى التغريب فكان صالونها شبكة صيد لكل طامح نابه مؤهل لتأدية الدور العصراني الذي سيقوم به وكانت هذه الصناعة تتم تحت نظر المندوب الإنجليزي في مصر اللورد كرومر الذي كان من خلال هذا الصالون كما يقول الدكتور رفعت السعيد يعايش الصفوة المختارة من المصريين ويتحسس طريقه نحو اختيار أكثرهم صلاحية، وقد وجد بغيته وصيده في الشيخ محمد عبده وتلاميذه المتأثرين به.

يقول الدكتور فهمي الشناوي عن الثعلب كرومر: ابتداء من ١٩٠٥م بدأ أخطر وأخبث حيلة؛ حيث ابتدأ في اصطياده نبهاء الأمة الإسلامية في شبابهم، ليلتقطهم ويسند إليهم مناصب كبيرة تخدم خط تكوين قومي على حساب الأمة: التقط سعد زغلول وأسند إليه وزارة المعارف ١٩٠٦م أهم الوزارات والتقط الشيخ محمد عبده وجعله مفتي للديار، وبذلك ضمن أولاً تفريغ صفوف الأمة الإسلامية من رجالها ونقلهم إلى صف التفاهم مع الغرب، والتفاوض معه، واتخاذ الغرب نموذجاً ولو جزئياً ولو ثقافياً

وأنشأ لنفسه صالونات تروج لاصطياد نبهاء الأمة مثل صالون نازلي فاضل،وتم اصطياد لطفي السيد الذي اندفع اندفاعا أعمى ضد الأمة بمقولة مصر للمصريين أي ليست للإسلاميين حتى لو صارت للقبط ما داموا مصريين وأسموه فيلسوفاً بلا أدنى علاقة بالفلسفة واصطاد عبد العزيز فهمي حتى أصبح قاضي قضاة مصر، ولكن بقانون نابليون لا بالشريعة واصطاد قاسم أمين الذي روج بدعوى مساواة المرأة إلى خلخلة تقاليد وأعراف المجتمع الإسلامي واصطاد عبد الرحيم باشا الدمرداش ليجعل للصوفية على الوعي السياسي الإسلامي قدحاً معلى واصطاد خلفاؤه من بعده نبهاء؛ أمثال عبد الخالق ثروت وطه حسين، وعناصر قبطية؛ مثل مكرم عبيد سكرتير المستشار القضائي، واليهودي رينيه قطاوي الذي وصلوا به إلى وزير مالية لسعد زغلول وزوجته وصيفة للسراي، ومئات غير هؤلاء وهذا كله لصياغة مجتمع جديد من عجينة جديدة يقول أنور الجندي: لقد كان الاحتلال حريصاً على صنع طبقة خاصة من المثقفين، عمل كرومر على إعدادها ووعدها بأن تتسلم قيادة الأمة بعد خروج الإنجليز لعلمه أن المجتمع المسلم قد يتقبل من هذه الطائفة المتدثرة باللباس الإسلامي ما لا يقبله من الاحتلال أو من العلمانية أما عن الأفكار التي كان الاحتلال يريد ترويجها بين المسلمين عن طريق الطائفة العصرانية بقيادة الشيخ محمد عبده فهي:

١ ـ التقريب بين المسلمين والكفار، وقد ابتدأت جهود محمد عبده في هذا الأمر عندما كان منفياً حيث أسس جمعية للتقريب بين الأديان ومن أقواله: نستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور العرفان الكامل، فتنهزم له ظلمات الغفلة، فتصبح الملتان العظيمتان: المسيحية والإسلام وقد تعرفت كل منهما على الأخرى، وتصافحتا مصافحة الوداد، وتعانقتا معانقة الألفة،فتغمد عند ذلك سيوف الحرب التي طالما انزعجت لها أرواح الملتين ويقول لتلميذه رشيد رضا إن التقريب بين الأديان مما جاء به الدين الإسلامي.

٢ ـ إماتة روح الجهاد في الأمة الإسلامية، وهو أمر مترتب على السابق، يقول الدكتور فهد الرومي لعل أول ثمرة يجنيها أولئك القوم في سعيهم إلى التقريب بين الأديان القضاء على فكرة الجهاد في الإسلام فما دامت الأديان الثلاثة ليس بينها فرق، فليس هناك داع لحمل السيف وإعلان الجهاد ضد النصارى مثلاً ولهذا كان محمد عبده يرى أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط ويقول: القتال فيه ـأي الإسلامـ لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله وهكذا كان رأي تلاميذه من بعده بل لم تقتصر محاولة إماتة الجهاد عند محمد عبده على مصر فقط بل كان يرسل النصائح بذلك إلى علماء الجزائر المحتلة حينذاك من فرنسا ومن ذلك قوله للشيخ الجزائري عبد الحميد سمايا سنة ١٩٠٣م بعد أن نصحه: الناس محتاجون إلى نور العلم، والصدق في العمل، والجد في السعي؛ حتى يعيشوا في سلام وراحة مع من يجاورهم من أهل الأمم الأخرى فالمهم عند عبده ومن سيتبعه أن يعيش في سلام وراحة وإن كانت بلاده محتلة مستعبدة من عبّاد الصليب والعجب لا ينقضي من حال محمد عبده، الذي انعكست الأمور عنده، فجعل جهده وجهاده في تهييج المسلمين على ولي أمرهم، والمساهمة في الخروج عليه ثم تجده هنا عندما احتاج المسلمون إلى جهاد الكافر المحتل، وهو أمر شرعي، يثبطهم ويرضى بالمسالمة.

٣- الدعوة إلى الوطنية الإقليمية، وعزل مصر عن العالم الإسلامي ولمحمد عبده في هذا المقام أقوال كثيرة تؤسس لمثل هذه الفكرة الجاهلية التي تطورت على يد تلاميذه؛ خاصة أحمد لطفي السيد صاحب شعار مصر للمصريين ومن ذلك: قول محمد عبده يا أبناء الوطن لئن فرق بينكم اختلاف الآراء، وتنوع المشارب، وتلون التصورات، فقد وجدتم في الجامعة الوطنية ما تأتلفون به وتجتمعون عليه ثم تبنت الثورة العرابية التي هي ثمرة أفكارهم هذه الوطنية الجاهلية يقول فهمي الشناوي:الثورة العرابية مأساة إجهاض الأمة الإسلامية؛ حيث انتهت بانفصال مصر عن الخلافة، وبدأت تكون مصر كوطن.

٤- الدعوة إلى دفع الإسلام ليوافق واقع حياتنا العصرية من خلال: فتح باب الاجتهاد على مصراعيه؛ حتى دخل منه القادر وغير القادر، وصاحب الورع وأصحاب الهوى؛ فظهرت الفتاوى الشاذة من جراء ذلك يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: إن الاجتهاد في حال افتتاننا بالحضارة الغربية خطر غير مأمون العواقب؛ يخشى معه أن يتحول المجتهد إلى تسويغ القيم الأجنبية التي هو معجب بها فإذا لم يكن معجباً بها فالمجتمع الذي هو معجب بها لا يقبل اجتهاده،بل لا تزال تتناوله ألسن السفهاء من جُهاله الذي يتصدون لإبداء الرأي فيما يعرفون وفيما يجهلون حتى يفقد ثقته في نفسه،ويعتبر به غيره، فيفتي حين يُستفتى وعينه على الذين يفتيهم يريد أن يرضيهم،وأن يظفر بتقديرهم وتقريظهم، فيجور على الحق إرضاء للخلق، ويذهل عما عند الله تعجلاً لما عند الناس وللشيخ محمد عبده نصيب كبير من هذه الفتاوى العصرية التي طوعت أحكام الإسلام لما يريده المحتل الأجنبي أو ما يريده أهل العصر؛ كفتواه بإباحة ربا صناديق التوفير،وإباحة ذبائح النصارى التي يضربونها بالبُلط ولا يذكرون عليها اسم الله ويقول الدكتور محمد محمد حسين معلقاً على فتاوى عبده مثل هذه الآراء قد تبدو في ظاهرها لا بأس بها، ولا غبار عليها، بينما هي في حقيقة الأمر تدعو إلى مذهب التحرر

الذي يذهب في التسامح الديني إلى درجة تكاد تنمحي معها الحدود الفاصلة بين المذاهب والنحل وهذا كلام نفيس يغيب عن السذج الذين ينظرون إلى مثل هذه الآراء على أنها مسائل فقهية مجردة.

٥- الدعوة إلى تحرير المرأة المسلمة، وهو هدف أساس لدى الكفار وقام الشيخ محمد عبده ومدرسته بتحقيقه أما الشيخ فقد صدرت مجلة السفور بإشارة منه وشارك مشاركة فعالة في تأليف كتاب تحرير المرأة لتلميذه قاسم أمين كما أثبت ذلك بعض الباحثين أما تلاميذه فقد اشتطوا أكثر منه في هذه القضية؛ فتلميذه قاسم بعد ست سنوات من تأليفه لتحرير المرأة كشر عن أنيابه وأبان عن حقيقة فكرته التغريبية في كتابه الآخر المرأة الجديدة الذي بدا فيه أثر الحضارة الغربية واضحاً وبينما كان هادئاً في كتابه الأول،يحوم حول النصوص الإسلامية،انقلب في الكتاب الثاني يسلط حمم غضبه ويستعمل عبارات قاسية في التعبير عن رأيه، عبارات لا تقرها المرأة ذاتها فهو لا يقبل ملكية الرجال للنساء وتلميذه الآخر سعد زغلول كان من مؤيدي هذه الفكرة وكان كما يقول الشيخ محمد بن إسماعيل المنفذ الفعلي لأفكار قاسم أمين بواسطة زوجته صفية أول المتحررات أما لطفي السيد، فقد قال الدكتور حسين النجار حظيت دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة من تأييد لطفي السيد بما لم تحظ به من كاتب أو صحفي آخر وقال ويقيم لطفي السيد من دار الجريدة منتدى للمرأة تقصده محاضرة ومستمعة وأثنى كثيراً على دعوته الفاجرة، وتطبيقاً من لطفي السيد لحركة تحرير المرأة المسلمة قام عندما كان مديراً للجامعة المصرية هو وأصحابه وعلى رأسهم طه حسين بخطة ماكرة أقروا فيها دخول البنات لأول مرة في الجامعة المصرية واختلاطهن في الدراسة بالبنين فكانوا أول من فعل هذه الضلالة التي لا زالت تعيشها الجامعة المصرية إلى اليوم، قال الزركلي في ترجمته هو أول من سهَّل للفتيات الاختلاط فى الجامعة في بدء إنشائها. [1]

١) عن كتاب: أحمد لطفي السيد للدكتور حسين النجار، ص ٣١٧ وما بعدها.